

**دلالة الجملة الاسمية التي تخرج لغرض الدعاء في ديوان
البحثري**

عبد الكريم متعب حسين علي

أ.د. أحمد كودي تربة انجلو

جامعة الجزيرة/كلية التربية حنتوب /السودان

الايمل: abdalkareem92mtab@gmail.com

تقوم الدلالة النحوية على فهم معاني الكلام ، تلك المعاني التي كانت محطّ عناية أهل العربية كافة ، فقد عُني بها النحويون ودرسوها في الأبواب النحوية المختلفة وحدّدوا دلالاتها، ومن المقصود بها، أهو المتكلم أم المخاطب ؟ وحدّدوا نوعها هل هي من الخبر أو غير الخبر، ومن ذلك دلالة الدعاء، وقد استطاع البحري أن يتسّم قمة الإبداع في حسن التعبير عن معانيه بوضوح وجمال، يمازج الألوان فيه تارة، ويؤلف ويربط بين الأوزان تارة أخرى، فالمعاني عنده أرواح تتحرك وتتنفّس، لذلك كان من أهم أسباب اختيار الباحث لهذا الموضوع هو أنه يتناول شعر البحري، ويتناول فيه بصفة خاصة الدلالة النحوية التي تفرّد بها في شعره لإمامه الكبير بعلم النحو واللغة.

منهج البحث:

اختار الباحث المنهج الوصفي التحليلي الاستقرائي لتحقيق أهداف البحث.

أهداف البحث:

هدف البحث إلى:

- ١- الانفتاح على الدراسات اللغوية الحديثة والإفادة من إضافاتها القيمة في هذا المجال.
- ٢- إبراز قيمة الدلالة النحوية للجملة الاسمية التي تخرج لغرض الدعاء في ديوان البحري.
- ٣- البحث في منهجية البحري في الشعر من جهة الدلالة النحوية.
- ٤- الإسهام ولو بالنزر اليسير في البحث العلمي الجاد المفضي إلى الاختلاف النحوي.

أقسام البحث:

ينقسم البحث إلى مقدمة تناولت منهج البحث وأهدافه وأقسامه، ومبحثين تناول المبحث الأول مفهوم الدعاء في اللغة والاصطلاح، والثاني تناول دلالة الجملة الاسمية التي تخرج لغرض دعاء في ديوان البحري.

المبحث الأول مفهوم الدعاء في اللغة والاصطلاح

الدعاء لغة: دعا الرجل دعواً ودعاء: ناداه، ودعوتُ فلاناً أي صحتُ به واستدعيته، وهو الرغبة إلى الله عزّ وجلّ^١. والدعاء: أصله أن تميل الشيء إليك بصوت وكلام يكون منك^٢. والدعاء واحد الأدعية، وهو أن تميل الشيء إليك بصوت وكلام يكون منك، نقول: دعوتُ ادعو دعاءً^٣ وهو أيضاً الرغبة إلى الله عزّ وجلّ، ودعا العبد ربّه: دعاه دعاءً ودعوى، ودعوتُ فلاناً بفلان: ناديته وصحتُ به، ويُقال: ما بالذّار داعٍ ولا مجيب، ودعا الله له وعليه، وفي المجز دعاه الله بما يكره، أنزله به^٤. وأصل الدعاء: دعاو، فهو من دعوت ، إلا أنّ الواو جاءت بعد الألف فهزمت، ثم أقيم ها المصدر مقام الاسم، أي: أطلق على واحد الأدعية، كما أقيم مصدر العدل مقام الاسم في قولهم: رجلٌ عدلٌ، ونظيرها كثير^٥. هنالك معانٍ أخرى لمادة (دعا)، من أهمها:

- الطلب والنداء: مثل "دعوتُ فلاناً أي صحت به واستدعيته وناديته"^٦ وقد وردت مادة (دعا) بهذا المعنى في القرآن الكريم ، على لسان ابنة شيعب (عليه السلام) مخاطبةً موسى (عليه السلام): (إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا)^٧.
- النداء إلى الطعام "الدعوة إلى الطعام بفتح الدال، ويُقال في النسب دعوة بكسرهما، وفي الطعام دعوة بالفتح، وهذا أكثر كلام العرب^٨، ومن هذا قوله تعالى: (وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَأَدْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ)^٩
- طلب إحضار الشيء: ودعا بالكتاب استحضره^{١٠}، ومنه قوله تعالى: (يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمِنِينَ)^{١١}.
- النسب: بكسر الدال تكون الدعوة في النسب، يقال: فلان دعي بين الدعوة والدعوى في النسب، والدعي أيضاً من تبنيته^{١٢}، ومنه في القرآن الكريم قوله تعالى: (دَعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ)^{١٣}.
- ووردت معانٍ أخرى لمادة (دعا) غير ما سبق ذكره، منها: الإدعاء وهو أن تزعم ما هو زور، كأن تدعي حقاً لك أو لغيرك، وتقول ادعي حقاً أو باطلاً^{١٤}. ويأتي الدعاء بعدة معانٍ في القرآن الكريم، منها:
- العبادة: دلّ على ذلك قوله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَلُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ)^{١٥}. وكذلك قوله تعالى: (وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ)^{١٦}. والدعاء على ثلاثة أوجه كما أوردها ابن منظور، قال: "معنى الدعاء على ثلاثة أوجه: ضرب منها توحيده والثاء عليه، والضرب الثاني سؤال الله المغفرة والعفو والرحمة، والضرب الثالث مسألة الحظ من الدنيا ومتاعها"^{١٧}. وسمى جميع ما مضى دعاء لأنّ الإنسان يصدره بأحد هذه الألفاظ: يا الله، اللهم، يا رب، وغيرها.

- الصلاة: قال تعالى: (وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ)^{١٨}، فالصلاة هنا هي الدعاء.
- الابتهاال: قال تعالى: (ثُمَّ نَبِّئَهُمْ فَكَجَّلُوا لَعَنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ)^{١٩}، فالمراد من الابتهاال هنا الاجتهاد في الدعاء.
- التصرُّع: قال الله تعالى: (فَأَخَذْنَا هُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ)^{٢٠}، أي لعلمهم يدعون.
- القنوت: قال تعالى: (يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ)^{٢١}، فالقنوت هو الدعاء.
- النداء: قال تعالى: (وَرَكْرِكِيَا إِذْ نَادَى رَبُّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ)^{٢٢}، فالنداء هو الدعاء.
- الاستغفار: قال تعالى: (فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا)^{٢٣}، الاستغفار من انواع الدعاء ولكنه يختص بمغفرة الذنوب.
- الاستغاثة: قال تعالى: (وَإِنْ يَسْتَعِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا)^{٢٤}، الاستغاثة من أنواع الدعاء، ولكنها في وقت الشدة وخلصا الأمر أن الدعاء في الأصل من الأدنى إلى الأعلى، وقد يأتي بعدد كبير من المعاني المجازية في اللغة العربية والقرآن الكريم.

ومن أمثلة الدعاء في ديوان البحري، قوله في هجاء (بني ثوابه):

أَلَا اللَّهُ ذَرِكُ يَا (جَلَّتَا) * * * وَمَا أَحْرَزْتِ مِنْ حَظِّ الْكِتَابَةِ

نَقَلْتِ مِنَ الْمَشَارِطِ وَالْمَوَاسِي * * * إِلَى الْأَقْلَامِ حَالَ (بَنِي ثَوَابَةٍ)^{٢٥}

فهو هنا يدعو لقرية (جللتا) -وهي قرية مشهورة من قرى النهراوان- بالرفعة والتقدم، متهكماً على حال (بني ثوابه). وكذلك قوله:

وَأَنْبَاءُ الْإِلَهِ بَقَاءُ نُوحٍ * * * لِتَشْيِيدِ الْمَكَارِمِ وَالسَّمَّاحِ^{٢٦}

يدعو الشاعر هنا لخليفة المسلمين بالبقاء وطول العمر مثلما اطال الله عمر نوح (عليه السلام)، أو هو يقصد حفظه الله كما حفظ نوح من الطوفان ليستمر في بناء الكارم والأخلاق الطيبة.

المبحث الثاني دلالة الجملة الاسمية التي تخرج لغرض الدعاء في ديوان البحري

تعريف الجملة: جاء في لسان العرب: "الجملة واحدة الجمل، والجملة جماعة كل شيء بكماله من الحساب وغيره، يُقال أجملت له الحساب والكلام، قال تعالى: (لَوْلَا نَزَّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً)^{٢٧}، وأجملت الحساب إذا جمعت آحاده وكملت أفراده، كأنَّ الحبل الغليظ سُمِّيَ جملةً لأنه قوى كثيرة جمعت فأجملت جملة، ولعل الجملة اشتقت من جملة الحبل، وقد ذكر ابن عباس أنه قرأ الجمَل في الآية (حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْحَيَاطِ)^{٢٨}، بتشديد الميم، يعني الحبال المجموعة^{٢٩} وجاء في المعجم الوسيط: "جمَلُ الشيء جملاً: جمعه عن تفرُّق، وجمَلٌ: حَسَنٌ، خُلِقَ أو خُلِقَ فهو جميل، جمع جملاء، وأجمل كثرت جماله، وأجمل في الطلب اعتدل"^{٣٠}. وقد عرّفها المبرّد اصطلاحاً في باب الفاعل حيث يقول: "إنما كان الفاعل رفعاً لأنه هو والفاعل جملة يحسن السكوت عليها، وتجيء بها الفاعلة للمخاطب، فالفاعل بمنزلة الابتداء والخبر، فإذا قلت: قام زيد، بمنزلة قولك: القائم زيد"^{٣١} أما ابن يعيش فيساوي بين الكلام والجملة، إذ يقول في تعريف الكلام: "اعلم أن لكلام عند النحويين والجملة عبارة عن لفظ مستقل بنفسه مقيّد بمعناه"^{٣٢}. وقال ابن هشام: "الكلام هو القول المفيد بالقصد، والمراد بالمفيد ما دل على معنى يحسن السكوت عليه، والجملة عبارة عن الفعل وفاعله، ك(قائمٌ زيد)، والمبتدأ وخبره ك(زيدٌ قائمٌ)، وما كان بمنزلة أحدهما، نحو (ضرب اللص) و(قائم الزيدان) و (كان زيد قائماً) و(ظننته قائماً)^{٣٣}. وبهذا يظهر أنهما غير مترادفين كما يتوهمه كثير من الناس، وهذا ظاهر قول صاحب المفصل، فإنه بعد أن عرّف حدّ الكلام قال: "ويُسمّى جملة؛ والصواب أنه أعمُّ منه، إذ شرطه الإفادة، بخلافها ولهذا تسمعه يقولون: جملة الشرط، جملة الجواب، جملة الصلة، وكلّ ذلك ليس مفيداً"^{٣٤}. وقد جاء الدعاء بدلالة الجملة الاسمية بعدد من الصور، منها:

الدعاء بصيغة الأمر: أسلوب الأمر من الأساليب الإنشائية في الدعاء، يخرج من معناه الحقيقي وهو طلب الفعل على سبيل الوجوب والإلزام من الأعلى إلى الأدنى، إلى معناه المجازي إذا كان من الأدنى إلى الأعلى، مثال لذلك قوله تعالى: (اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ)^{٣٥}، وقد تضمن هذا الدعاء الإخبار بفائدة الخبر، ولازم فائدة الخبر في الإخبار عن الله سبحانه وتعالى بالاستقامة وأنه الصراط المستقيم، والطريق الحق لأهل نعمته^{٣٦}. وكذلك قوله تعالى: (قَالَ رَبِّ احْكُم بِالْحَقِّ وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ)^{٣٧}، هذه الآية دعاء بالهلاك على الكفار الذين صدوا عن سبيل الله وأسرفوا في ظلمهم للرسول (صلى الله عليه وسلم)، فقال: يا ربّ افصل بيني وبينهم ، وهذا دعاء عليهم ببعدهم عن رحمة الله وفضله وتعجيلاً لنزول العذاب عليهم، لأنّ الله سبحانه وتعالى لا يحكم إلا بالحقّ، فجاء لفظ الحقّ اشعاراً بالدعاء عليهم واقصائهم عن رمتهم والتعجيل بما يستحقونه من العذاب^{٣٨}. ومن دلالات الدعاء بصيغة الأمر في ديوان البحري، قوله:

خُذْ لِسَانِي إِلَيْكَ فَالْمَلِكُ لِلْأُلَى * * سِنٌ فِي الْحُكْمِ عَدْلٌ مَلِكِ الرِّقَابِ^{٢٩}

يخاطب البحري ممدوحه طالباً منه على سبيل الدعاء أن يمتلك لسانه، فمن يمتلك الكل يجوز له امتلاك الجزء، والقرينة التي تبين أنه يريد بصيغة الأمر (خذ) الدعاء أن الشاعر يخاطب من هو أعلى منه مكانة وهو الخليفة. ويقول كذلك مخاطباً رفاقه:

عَرَجُوا، فَالدُّمُوعُ إِنْ أَبُكَ فِي الرَّبِّ * * عِ دُمُوعِي، وَالْاِكْتِنَابُ اِكْتِنَابِي

فالشاعر هنا يدعو أصحابه بالوقوف على أطلال المحبوب ولا يهتم ما يحدث له، فهو إن بكى فالدموع له وهو من سيبيكي، وهو من سيحزن ويكتتب. فجات الدعوة للوقوف بصيغة الأمر (عرجوا) وكذلك قوله في المدح:

فَأَمْضِ قُدماً فَمَا يُرَادُ مِنَ السَّيِّءِ * * فِ عِدَاةِ الْهَيْجَاءِ إِلَّا مَضَاوَةٌ^{٣٠}

فهو هنا يدعو لممدوحه بالمضي في طريقه والتقدم، فالسيف أنفع ما يكون في الحرب وهو مسلط على الأعداء عامل فيهم القتل والضرب. ويقول في مدح الحسن بن وهب:

مَا أَنْتَ لِلْكَفِّ الْمَشُوقِ بِصَاحِبٍ * * فَأَذْهَبَ عَلَى مَهْلٍ فَلَيْسَ بِدَاهِبٍ^{٣١}

ويقول البحري:

عَرَجَ عَلَيْنَا جَزَاكَ اللهُ مَغْفِرَةً * * فَقَدْ تَرَى، وَوَقِيلُ مِنْكَ تَعْرِيجٌ^{٣٢}

حيث تدعو المحبوب بالمرور عليها وتدعو له بالمغفرة (جزاك الله مغفرة)، وذلك لشوقها الشديد لرؤيته فربما تلمحه مرة وهو يمر بالقرب منها وكذلك من دلالات الأمر على الدعاء بصيغة المضارع المقرون بلام الامر، ومثال لذلك قوله تعالى: (وَبَادُوا بِأَمَالِكُمْ لِيَقْضِيَ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَا كَاتِبُونَ)^{٣٣}، اللام في (ليقض) للدعاء، فأهل النار يتوسلون بمالك ليسأل الله سبحانه وتعالى لهم الموت والفناء التام بدلاً من العذاب المتجدد^{٣٤}. ومن ذلك قول البحري:

فَلْيُنْعَمَنَّ بِطِيبِ ذِكْرِكَ يَوْمَنَا * * وَلْيَأْتَسَنَّ بِكَ الَّذِي جَالَسْتَهُ^{٣٥}

فهو يدعو أن يطيب يومه وينعم بذكر الممدوح، ويدعو لمن جالسه بجميل الأُس بوجود ممدوحه. واستخدام صيغة الأمر المقرونة بلام الأمر (لينعمن، وليأتسنن). ومن الأساليب الإنشائية للدعاء المصدر النائب عن فعل الأمر إذا كان على سبيل التضرع والخضوع والتذلل، كما في قوله تعالى: (غُفْرَانِكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ)^{٣٦}، يتضرع المؤمنون إلى ربهم طالبين منه المغفرة بمقتضى رحمته وعفوه وفضله لخوفهم الذي هو دليل على قوة إيمانهم^{٣٧}. ومن الأساليب الإنشائية في الدعاء المصدر المنصوب الواقع موقع فعله، وهو إما أن يكون منصوب أو مرفوع، ومثال المنصوب قوله تعالى: (فَبَعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ)^{٣٨}، (فبعداً) أو هلاكاً وهو دعاء على القوم الظالمين بالهلاك، وهي منصوبة بتقدير فعل منه أي أبعدهم بعداً، وهي دعاء على القوم الظالمين بالهلاك، وكقوله تعالى: (وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعَسَا لَهُمْ وَأَصْلًا أَعْمَالُهُمْ)^{٣٩}، (تَعَسَا) دعاء على الذين كفروا بالهلاك والشقاء، فالتعس يدور معناها حول الهلاك والشقاء وهي منصوبة بفعل محذوف من لفظه والتقدير أتعسهم الله تعساً، ودلالة النصب تدل على التجدد والحديث، والمعنى: فأتعسهم الله، والدعاء قد يجري مجرى الامر والنهي^{٤٠}. ومنه قول البحري:

عَدْلًا يَتْرُكُ الْحَنِينَ أُنِينًا * * فِي هَوَى يَتْرُكُ الدُّمُوعَ دِمَاءً^{٤١}

فالشاعر استخدم المصدر المنصوب (عدلاً) أي قضى عليه بالعدل أي بالبُعد الذي يحول الحنين إلى أنين والدموع إلى دماء من فرط الألم والجوى، والبحري هنا يتلاعب بالألفاظ مستخدماً أسلوب الجناس ليمكّن المعنى الذي يريده في النفوس. ومنه قوله في المدح:

سَقِيًا لِمَجْلِسِنَا الَّذِي آتَسْتَهُ * * وَأَهَا لِمَجْلِسِنَا الَّذِي أَوْحَشْتَهُ^{٤٢}

يدعو البحري بالسقيا للمكان الذي يضمه والممدوح، وبالألم والحزن للمكان الذي لا يكون موجوداً فيه، واستخدام المصدر المنصوب (سقياً) في دعائه. ومنه قول البحري معتذراً:

فَتَى مُذْجِ غَفْرًا، فَتَى مُذْجِ غَفْرًا * * لِمُعْتَذِرٍ جَاءَتْ إِسَاءَتُهُ تَتْرَى^{٤٣}

استخدم البحري المصدر المنصوب (غَفْرًا) الواقع موقع فعل الأمر (اغفر). وقوله في بكاء الشباب:

وَ عُمْرًا، نُوْحًا لِفُقْدَانِهِ * * سَيَّانَ عِنْدِي شَبْتُ أَمْ مِتُّ^{٤٤}

البحري يتحسر على عمره ويدعو على نفسه بالنواح المستمر على فقدان الشباب ويقول أنه بفقدانه استوى عنده الشيب والموت، فهما سيان. مستخدماً في ذلك المصدر المنصوب (نوحاً) ويقول في الرثاء:

فهو يدعو للميت بالسلام (عليك سلام الله)، وبالسقيا التي تنتزل على قبره أما المصدر المرفوع مثال له قوله تعالى: (وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ) ٥٦، دعاء عليهم بالهلاك والعذاب، مصدر منصوب بفعل محذوف أي ألزمهم ويلاً لكنه عدل إلى الرفع لاستمرار وثبات وتأکید العذاب للمطففين في الميزان، فأصل (ويل) مصدر منصوب سد مسد فعله، ولكنه عدل به الرفع للدلالة على معنى ثبات الهلاك ودوامه للمدعو عليه نحو: سلام عليكم ٥٧ أما اسم الفعل فهو من اساليب الدعاء بالشر، ومثال له قوله تعالى: (عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ) ٥٨، أي تلزمهم دائرة الهزيمة والمكروه والعذاب والبلاء، والآية دعاء عليهم بالحزن، فلا يروا إلا كل مكروه، ولو لم تضاف الدائرة إلى السوء لما عرف معنى السوء، لأن دائرة الدهر لا تستعمل إلا في المكروه، وإذا عرفت هذا فنقول المعنى يدور عليهم البلاء والحزن فلا يرون في محمد ودينه إلا ما يسوؤهم ٥٩ ومن الأساليب الإنشائية في الدعاء بالشر لا الناهية على الفعل المضارع التي خرجت للدعاء، مثل قوله تعالى: (وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا) ٦٠، فلا يؤمنوا: دعاء عليهم بعدم لإيمان حتى يروا عذاب هلاك الأموال وقسوة القلوب، فيكون في قلوبهم حسرة على عدم اتباعهم الإيمان، فلا يمكن أن تكون هنا لا الناهية للدعاء أنها جاءت جواب للدعاء واطمس واشدد، (ليضلوا) اللام للدعاء أي ليقبوا على ضلالهم ٦١ كذلك من الأساليب الإنشائية في الدعاء أسلوب النهي، ويأتي في عدة صور، منها لا الناهية مع الفعل المضارع: لا الناهية حرف جزم، فهي تجزم الفعل المضارع وتخلصه للاستقبال، وترد للدعاء، نحو: (رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا) ٦٢، ولذلك قال بعضهم "لا الطلبية" ليشمل النهي وغيره ٦٣. ومنه قوله تعالى: (رَبَّنَا لَا تَرُغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا) ٦٤، وقد دلّ شبه الجملة (بعد) إلى بيان تذوق حلوة الإيمان، وأكد هذا الفعل الماضي (هديتنا) ليدلّ على ثبوت الإيمان عندهم ليؤكد رغبتهم ودعاءهم في عدم ميل قلوبهم عن هذا الإيمان بعد أن ذاقوا حلوته ٦٥. يقول البحري داعياً لنفسه بالغفران:

يَغْفِرُ اللَّهُ، وَهُوَ لِغَفْرِ أَهْلٍ * * حَلْفِي أَنْكُمْ بِنُوءٍ وَحِثِّي ٦٦

ويقول البحري داعياً لمحبيه بطول العمر والبقاء:

نَاوِلْنِي مِنْ كَفِّهِ بِنَفْسِجَا

لَكَلِّ مَا أَضْمِرُهُ مُهْتَجَا

فَقَدْ شَجَانِي، لَا عَدِمْتُ مَنْ شَجَا ٦٧

ومن الأساليب الإنشائية للدعاء بالخير أسلوب النداء: والنداء أحد معاني الدعاء، لأن أغلب الدعاء يتصدر بأداة النداء لفظاً أو تقديرًا، وأن معنى النداء يُفسر بالدعاء، وفُرق بينهما أبو هلال العسكري فقال: "النداء هو رفع الصوت بما له معنى، والدعاء يكون برفع الصوت وخفضه، يقال: دعوته من بعيد، ودعوت الله في نفسي، ولا يقال: أناديه في نفسي" ٦٨. ويستخدم حرف النداء مع (رب) قليلاً، وينادي (رب) مجرداً من النداء، وذلك شعوراً بقرب الداعي من ربه، قال تعالى: (وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا) ٦٩، (يا رب) دعاء من الرسول (صلى الله عليه وسلم) إلى ربه دعاء إنابة وخضوع بعدما بذل جهده في دعوة قومه ولم يزددهم هذا إلا كفراً وعناداً، وإن ره ليعلم، ولكن دعاء البث والإنابة يشهد به ربه على أنه لم يأل جهداً ولكن قومه لم يستمعوا لهذا القرآن ولم يتدبروه ٧٠. وهذا الدعاء تعبير عن حالة نفسية أملت بالرسول (صلى الله عليه وسلم) وقد افترغ جهده في دعوة قومه وانذارهم فلم يزددهم ذلك إلا تمادياً في كفرهم، فأطبق الهم على فؤاده، فأتى بحرف النداء كأنما يريد أن يرفع صوته زيادة في الضراعة إلى الله واستجلاب رضاه ٧١ ومن ذلك قول البحري في مدح الحسن بن مخلد:

يَا بَرْقُ أَفْرِطْ فِي اغْتِلَانِكَ * * أَوْ صُبْ بِجُودِكَ وَإِنْهَمَائِكَ

أَوْ كَشَفْ الظُّلْمَاءِ بِالنُّورِ * * سِوَرِ المُضِيِّ مِنْ انْجِلَانِكَ

مَا أَنْتَ كَالْحَسَنِ بْنِ مَخْدُومٍ * * سَلَدَ فِي اقْتِرَابِكَ وَأَنْتَوَائِكَ ٧٢

فهو هنا يخاطب البرق مستخدماً أداة النداء (يا برق)، ويدعوه أن يرتفع في السماء أو ينهمر ويسقط ماءً على الأرض، وكذلك أن يكشف الظلمة عن الأرض بفعل ما ينتج عنه من ضياء، وهو أي البرق وإن فعل ذلك ليس كممدوحه في القرب أو البعد. كذلك يقول:

يَا بُؤْسِ نَفْسٍ عَلَيْهَا جِدٌّ أَسْفَةٌ * * وَشَجْوِ قَلْبٍ إِلَيْهَا جِدٌّ مُرْتَاخٌ ٧٣

فهو يدعو على النفس التي تأسفت لعدم وصال المحبوب، ويطول الشجن والوجد الدائم، واستخدم في ذلك حرف النداء ظاهراً (يا بؤس) ومقدراً (وشجراً). كذلك من أنماط الدعاء بالجمال الإنشائية، الدعاء بطلب الاستفهام: وقد أجمع النحاة والبلاغيون على أنّ الاستفهام هو (طلب الفهم)^{٧٤}، وهو طلب حصول صورة الشيء من الذهن^{٧٥}. وذهب النحاة إلى أنّ همزة الاستفهام هي أصل أدوات الاستفهام، وقد ذهب سيبويه إلى جواز حذفها لضرورة الشعر^{٧٦}، وعند حذفها لا يقدر بغيرها في الحذف^{٧٧} ومنه قول عمر بن أبي ربيعة:

فَوَاللَّهِ مَا أَدْرِي وَإِنِّي لَحَاسِبٌ * * بِسِنِّعِ رَمِيْنِ الْجَمْرِ أَمْ بِثَمَانٍ؟^{٧٨}

حذفت الهمزة في البيت لأنه دلّ عليها دليل، والمراد (أبسبح)^{٧٩}. وقد ورد الاستفهام للدلالة على الدعاء، وهو كالنهي إلا أنه من الأدنى إلى الأعلى، كقوله تعالى: (أَتَهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا)^{٨٠}، أي: لا تهلكنا، وجاء بمعنى الدعاء والتضرع من موسى لربه^{٨١} وجعل بعضهم من هذا القبيل قوله تعالى: (أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا)^{٨٢}، أي: لا تجعل في الأرض من يفسد فيها؛ إذ هم هنا لم يستفهموا؛ لأنّ الله سبحانه قال: (إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً)^{٨٣}، فخرج هنا الاستفهام عن معناه الأصلي إلى معنى الدعاء بالألا يجعل الله سبحانه وتعالى في الأرض خليفة. ومنها قول البحري في قصيدة له يمدح بها أبا جعفر محمد بن علي القمي الكاتب، يقول:

أَمْوَاهِبٌ هَاتِيكَ أَمْ أَنْوَاءُ * * هُطْلٌ؟ وَأَخَذُ ذَاكَ أَمْ إِغْطَاءُ؟

يتساءل الشاعر هنا مستخدماً الهمزة للاستفهام، ويتساءل داعياً ممدوحه إلى أن يخبره عن كون هباته؛ هل هي عطايا أم بحرّ امواجه في حالة مدّ دائم، وهل هو الذي يعطي أم أنه يأخذ، وكل ذلك من قبيل التعجب من شدة عطائه وكرمه ويقول أيضاً:

أَلْمُعْ بَرَقَ سَرَى أَمْ ضَوْءُ مَضْبَاحٍ * * أَمْ ائْتِسَامَتُهَا بِالْمَنْظَرِ الصَّاحِي^{٨٤}

يدعو المحبوبة إلى إبانة سرّ الضوء الذي لمع في المكان وأضاء عتمته، هل هو برق أم ضوء مصباح، أم ضوء نبع من ثغرها حين الابتسام؟ وقد استخدم في ذلك همزة الاستفهام للوصول إلى مبتغاه من مدح المحبوبة، وهو في كل ذلك يبتغي الوصول إلى إشراق ووضاءة ابتسامه الحبيبة.

الخاتمة:

بحمد الله وتوفيقه وصل البحث إلى خاتمته، وقد تناول بالدراسة الدعاء تعريفاً ومعنى واقسام مع التطبيق على الجملة الاسمية التي تغرض لغرض الدعاء في ديوان البحري، وقد توصل البحث إلى عدد من النتائج، من أهمها: أنّ شعر البحري دحفل بالعديد من الصيغ التي تنفيد معنى الدعاء، منها: الدعاء بصيغة الأمر من الأدنى إلى الأعلى، والدعاء بصيغة المضارع المقرون بلام الامر، و المصدر النائب عن فعل الأمر، المصدر المنصوب الواقع موقع فعله، ولا الناهية مع الفعل المضارع، وأسلوب النداء، والدعاء بطلب الاستفهام.

الهوامش:

- ١ - ابن منظور، محمد بن مكرم (ت ٧١١هـ)، لسان العرب، دار صادر، بيروت، (د. ت)، ج ٤، ص ٣٦٠، مادة (دعا).
- ٢ - ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، ج ١، ص ٤٠٩، مادة (دعا).
- ٣ - الزمخشري، أساس البلاغة، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤١٩هـ - ١٩٨٩م، ج ١، ص ٢٢٠.
- ٤ - ابن منظور، لسان العرب، ج ٤، ص ٣٦٠؛
- ٥ - والزمخشري، أساس البلاغة، ج ١، ص ٢٢٠.
- ٥ - الخطابي، حمد محمد الخطابي أبو سليمان، شأن الدعاء، تحقيق: أحمد يوسف الدقاق، دار الثقافة العربية، بيروت، ط ٣، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م، ص ٣ - ٤.
- ٦ - الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط ٤، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م، ص ٢٣٣، مادة (دعا).
- ٧ - سورة القصص، الآية (٢٥).
- ٨ - ابن فارس، مقاييس اللغة، ص ٤٠٩.
- ٩ - سورة لأحزاب، الآية (٥٣).
- ١٠ - الزمخشري، أساس البلاغة، ج ١، ص ٢٢١.
- ١١ - سورة الدخان، الآية (٥٥).

١٢ - الجوهري، الصحاح، ج ٦، ص ٢٣٣٦ - ٢٣٣٧.

١٣ - سورة الأحزاب، الآية (٤).

١٤ - ابن فارس، مقاييس اللغة، ص ٤٠٩.

١٥ - سورة الأعراف، الآية (١٩٤).

١٦ - سورة البقرة، الآية (١٨٦).

١٧ - ابن منظور، لسان العرب، ج ٤، ص ٣٥٩.

١٨ - سورة التوبة، الآية (١٠٣).

١٩ - سورة آل عمران، الآية (٦١).

٢٠ - سورة الأنعام، الآية (٤٢).

٢١ - سورة آل عمران، الآية (٤٣).

٢٢ - سورة الأنبياء، الآية (٨٩).

٢٣ - سورة نوح، الآية (١٠).

٢٤ - سورة الكهف، الآية (٢٩).

٢٥ - البحري، ديوانه، تحقيق: حسن كامل الصيرفي، دار المعارف، مصر، ط ٣، د. ت، ص ١٣٣.

٢٦ - المصدر السابق، ص ٤٦٤.

٢٧ - سورة الفرقان، الآية (٣٢).

٢٨ - سورة الأعراف، الآية (٤٠).

٢٩ - ابن منظور، لسان العرب، ج ١، ص ٦٨٣، مادة (جمل).

٣٠ - إبراهيم أنيس وآخرون، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ط ٤، ٢٠٠٤ م، ج ٤، ص ١٢٦، مادة (جمل).

٣١ - المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد بن عبد الأكبر، المقتضب، تحقيق: محمد عبد الخالق عزيمة، عالم الكتب، بيروت، د. ت، ج ٤، ص ١٢٦.

٣٢ - ابن يعيش، يعيش بن علي بن يعيش ابن أبي السرايا محمد بن علي، أبو البقاء، موفق الدين الأسدي الموصلي، المعروف بابن يعيش ويا بن

الصانع (المتوفى: ٦٤٣هـ)، شرح المفصل، قدم له: إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢ م، ج ١، ص ٢٠ -

٢١.

٣٣ - ابن هشام، جمال الدين أبو محمد عبد الله بن يوسف بن أحمد، مغني اللبيب عن كتب الأعراب، تحقيق: مازن المبارك ومحمد علي حمد الله،

دار الفكر، دمشق، ط ٦، ١٩٨٥ م، ج ٢، ص ٤٢٠.

٣٤ - المصدر السابق، ج ٢، ص ٤٢٠.

٣٥ - سورة الفاتحة، الآية (٦).

٣٦ - ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين (ت ٧٥١هـ)، بدائع الفوائد، دار الكتاب العربي، بيروت، د. ت، ج ٢،

ص ٣٧.

٣٧ - سورة الأنبياء، الآية (١١٢).

٣٨ - ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، التحرير والتتوير، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤ م، ص ٢٩٣.

٣٩ - البحري، ديوانه، ص ٨٦.

٤٠ - المصدر السابق، ص ٣١.

٤١ - المصدر السابق، ص ١٥٨.

٤٢ - المصدر السابق، ص ٤٣٠.

٤٣ - سورة الزخرف، الآية (٧٧).

٤٤ - سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، القاهرة، ط ١٦، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م، ص ٣٢٠١.

٤٥ - البحري، ديوانه، ص ٣٨٩.

٤٦ - سورة البقرة، الآية (٢٨٥).

٤٧ - محمد أبو زهرة، محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد، زهرة التفاسير، دار الفكر العربي، بيروت، د. ت، ص ١٠٨٩ - ١٠٩٠.

- ٤٨ - سورة المؤمنون، الآية (٤١).
- ٤٩ - سورة محمد، الآية (٨).
- ٥٠ - عابدة عبد العزيز محمد زغلول، من صور الدعاء في القرآن بين الخبر والإنشاء، حولية كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالإسكندرية، مج ٩، ع ٣٢، ص ٣٣٩.
- ٥١ - البحري، ديوانه، ص ٢.
- ٥٢ - المصدر السابق، ص ٣٧٩.
- ٥٣ - المصدر السابق، ص ٩٢٦.
- ٥٤ - المصدر السابق، ص ٣٩٠.
- ٥٥ - المصدر السابق، ص ٥٢٠.
- ٥٦ - سورة المطففين، الآية (١).
- ٥٧ - الزمخشري، الكشاف، ج ٤، ص ٦٧٨.
- ٥٨ - سورة التوبة، الآية (٩٨).
- ٥٩ - سيد قطب، في ظلال القرآن، ص ١٢٣.
- ٦٠ - سورة يونس، الآية (٨٨).
- ٦١ - سيد قطب، في ظلال القرآن، ص ١٨١٦.
- ٦٢ - سورة البقرة، الآية (٢٨٦).
- ٦٣ - ابن قيم الجوزية، بدائع الفوائد، ص ١٦.
- ٦٤ - سورة آل عمران، الآية (٨).
- ٦٥ - أبو زهرة، زهرة التفاسير، ص ١١١٢.
- ٦٦ - البحري، ديوانه، ص ٣٩٦.
- ٦٧ - المصدر السابق، ص ٤٢٩.
- ٦٨ - أبو هلال العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (ت ٣٩٥هـ)، الفروق اللغوية، تحقيق: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، د. ت، ص ٢٦.
- ٦٩ - سورة الفرقان، الآية (٣٠).
- ٧٠ - سيد قطب، في ظلال القرين، ص ٢٥٦١.
- ٧١ - محمد بدوي، من بلاغة القرآن، ص ١٢٨.
- ٧٢ - البحري، ديوانه، ص ٩.
- ٧٣ - المصدر السابق، ص ٤٤٢.
- ٧٤ - ابن يعيش، شرح المفصل، ج ٥، ص ٩٩؛
- والبغدادي، عبد القادر بن عمر، خزنة الأدب ولب لبسان العرب، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، مصر، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م، ج ١، ص ٢٧؛
- والسيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين (ت ٩١١هـ)، الاتقان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية لعامة للكتاب، القاهرة، ١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤ م، ج ٢، ص ٦٧؛
- والزرکشي، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر (ت ٧٩٤)، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت، ط ١، ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧ م، ج ٢، ص ٣٢٦؛
- ٧٥ - الجرجاني، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني، التعريفات، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م، ص ١٨.
- ٧٦ - سيبويه، عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء، أبو بشر، الكتاب، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط ٣، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م، ج ٣، ص ١٨٤ - ١٨٥.
- ٧٧ - السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، تحقيق: عبد الحميد هندواي، المكتبة التوفيقية، القاهرة، د. ت، ج ٣، ص ١٩٨.

- ٧٨ - عمر بن أبي ربيعة، ديوانه، ص ٥١٢. ورد البيت في الكتاب، ج ٣، ص ١٨٥. والمقتضب، ج ٢، ص ٢٩٤، وشرح المفصل، ج ٥، ص ١٠٣، وهمع الهوامع، ج ٣، ص ١٩٨.
- ٧٩ - ابن يعيش، شرح المفصل، ج ٥، ص ١٠٣، والسيوطي، همع الهوامع، ج ٣، ص ١٩٨.
- ٨٠ - سورة الأعراف، الآية (١٥٥).
- ٨١ - ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج ١٠، ص ١٢٤.
- ٨٢ - سورة البقرة، الآية (٣٠).
- ٨٣ - سورة البقرة، الآية (٣٠).
- ٨٤ - البحري، ديوانه، ص ٤٤٢.

المصادر والمراجع:

١. إبراهيم أنيس وآخرون، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ط ٤، ٢٠٠٤م.
٢. البحري، ديوانه، تحقيق: حسن كامل الصيرفي، دار المعارف، مصر، ط ٣، د. ت.
٣. البغدادي، عبد القادر بن عمر، خزنة الأدب ولب لبسان العرب، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، مصر، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.
٤. الجرجاني، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني، التعريفات، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
٥. الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط ٤، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
٦. الخطابي، حمد محمد الخطابي أبو سليمان، شأن الدعاء، تحقيق: أحمد يوسف الدقاق، دار الثقافة العربية، بيروت، ط ٣، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.
٧. الزركشي، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر (ت ٧٩٤هـ)، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت، ط ١، ١٣٧٦هـ - ١٩٥٧م.
٨. الزمخشري، أساس البلاغة، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤١٩هـ - ١٩٨٩م.
٩. سيبويه، عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء، أبو بشر، الكتاب، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط ٣، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
١٠. سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، القاهرة، ط ١٦، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
١١. السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين (ت ٩١١هـ)، الاتقان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية لعامة للكتاب، القاهرة، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م.
١٢. السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، تحقيق: عبد الحميد هندوي، المكتبة التوفيقية، القاهرة، د. ت.
١٣. ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤م.
١٤. عابدة عبد العزيز محمد زغلول، من صور الدعاء في القرآن بين الخبر والإنشاء، حولية كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالإسكندرية.
١٥. ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
١٦. ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين (ت ٧٥١هـ)، بدائع الفوائد، دار الكتاب العربي، بيروت، د. ت.
١٧. المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد بن عبد الأكبر، المقتضب، تحقيق: محمد عبد الخالق عظيمية، عالم الكتب، بيروت، د. ت.
١٨. محمد أبو زهرة، محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد، زهرة التفاسير، دار الفكر العربي، بيروت، د. ت.
١٩. ابن منظور، محمد بن مكرم (ت ٧١١هـ)، لسان العرب، دار صادر، بيروت، (د. ت).
٢٠. ابن هشام، جمال الدين أبو محمد عبد الله بن يوسف بن أحمد، مغني اللبيب عن كتب الأعراب، تحقيق: مازن المبارك ومحمد علي حمد الله، دار الفكر، دمشق، ط ٦، ١٩٨٥م.
٢١. أبو هلال العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (ت ٣٩٥هـ)، الفروق اللغوية، تحقيق: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، د. ت.
٢٢. ابن يعيش، يعيش بن علي بن يعيش ابن أبي السرايا محمد بن علي، أبو البقاء، موفق الدين الأسدي الموصلية، المعروف بابن يعيش وبابن الصانع (المتوفى: ٦٤٣هـ)، شرح المفصل، قدم له: إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.